Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاصة بهم أحيانًا ، وإن شئت الدقة كانت خاصة بالفقراء منهم ، فخلق ذلك لونًا من الود بينهم وبين بقية العناصر الأخرى ، من عرب وبربر وأندلسيين من أصل أسبانى ، دون أن يهبط هذا بالعرب عما اختاروا لأنفسهم من قمة اجتماعية ، ودون أن يرتفع باليهود إلى حيث اختار العرب أن يكونوا ، وهى منزلة ارتضتها لهم بقية العناصر الأخرى طواعية لسابقتهم فى الإسلام ، أو لدورهم فى الفتح ، أو وجدت نفسها مكرهة عليها بحكم ضواغط الحياة الاجتماعية .

كان **صمويل** رجل دولة ممتازا ، ذكيا وداهية ، معارفه واسعة ، وتجاربه متعددة ، عاقلا وهادئا ، يتحدث قليلا ، ويفكر كثيرا ، وهى صفة رائعة لدبلوماسى مقتدر ، نهّاز للفرص ، يتسرب إلى هدفه كالميكروب ، ويندس إلى أعماق الرجال خفية ، ليتعرف إلى أهوائهم ونزواتهم ويتحكم فيهم من خلالها ، مزهو بنفسه ، يظنه من يراه يتجول فى قاعات الحمراء الواسعة أنه ولد وفى فمه ملعقة من ذهب ، يتكلم فى أناقة وبراعة ومداهنة ويملك قدرة فائقة على أن يكون ودودًا وآسرًا ، ملهم فى اللحظات الحرجة ، ومقنع بأفكاره دائما ، ليست له غطرسة الدخيل ، ولا عجرفة الغنى ، طيب ولطيف مع كل العالم ، ويحترم نفسه فى غير ادعاء ، ولا يخجل من أصله المتواضع ، ولا يحاول أن يخفيه ، بل كان يفتخر به ، ويواجه بسيطًا ومعطيًا المثل لمن يحاول أن يذكره به ، وكل ذلك شىء نادر بين من رفعهم الحظ ، ووضع بين أياديهم مقادير البشر (٥)

منذ اللحظة الأولى بدأ **صمويل** يتحرك على محاور متعددة : أن يكسب ثقة الأمير ، وأن يعزله عن بقية مواطنيه ، وأن ينال رضا جمهرة الناس من عرب وبربر ، جندًا ومثقفين ، وأخيرًا ، وأولا إذا شئت ، أن يمكن لليهود فى الدولة الجديدة .

ولكى يحقق غايته مع عامة المواطنين لم يكن يبادر أحدًا بشر ، ويلقى السوءة ببسمة ، ويمثل دور العطوف فى مقابل قسوة الأمير ، يحكى المؤرخون - مثلا - أنه تعود ان يمر صحبة الأمير أمام صاحب حانوت قريب من القصر ، فكان العطار يشيع صمويل شتائم

(٥) Jose Amador de los Rios: Historia Social, Politica y religiosa de los Judios de Espana y Portugal. P 117 ss . madrid 1960.